جامعة محمد بوضياف المسيلة
كلية العلوم الإنسانية

تاريخ علاقات غرب إسلامي م

العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والامارات الاسبانية :قشتالة وارجونا (1250-1505)

الأستاذ الدكتور كمال فيلالي

مارسيليا
مملكة ارجون
مملكة قشتالة
برصاليونا
جزيرو ميوركا
مملكة بنو الأحمر
البحر الأبيض المتوسط

المقدمة :

منذ منتصف القرن الثالث عشر، أصبحت التجارة في البحر الأبيض المتوسط تشكل مظهرا متميزا تجاوزت فيه كل المظاهر و الخلافات السياسية والدينية و الحضارية. السيطرة على طرق التجارة والموانئ اصبحت الشغل الشاغل لكل الدول دون استثناء، قضية أساسية لمختلف الجهات الفاعلة على ضفتي البحر. مثلما كانت البندقية تشكل قوة بحرية حقيقية، ارجونا لم تكن بمنأى عن هذا الصراع للسيطرة على تجارة البحرالمتوسط ، خاصة بعد ان أصبحت من الدول الرائدة لحروب الاسترداد بالحوض الغربي.

الصراع من اجل السيطرة على الطرق التجارية في البحر المتوسط:

سنة 1226 م، اشتد الصراع بين المغاربة و الاسبان حول جزر البليار ومينورك كمحطات رئيسة للقرصنة والتجارة بين الشمال والجنوب.
كانت جزيرة مينورك محل صراع منذ عصور ما قبل التاريخ ، حل بها الواندال ثم الرومان ، لتخضع للإمبراطورية الرومانية الشرقية ، ثم الفرنجة ، والمرابطون ، ثم الموحدين (من 902 إلى 1229) ، ثم الاسبان الكاثوليك. اصبحت الجزيرة مركزًا استراتيجيا و امارة لمملكة بين 1276 إلى 1344.
في سبتمبر 1229 ، و في نطاق حروب الاسترداد ، تم غزو جزيرة مايوركا و افتكاكها من الموحدين من قبل جاك الأول ملك أراغون.
استمرت الحروب الى عام 1231. السنة التي أدى فيها إلى إنشاء امارة مايوركا، المستقلة إلى 1285 . من 1285 الى 1349 ، أصبحت تخضع لمملكة أراغون ومن 1349 و بعد الوحدة الكاثوليكية إلى 1716 ، الحقت بمملكة إسبانيا الكاثوليكية.
استرجاع الاسبان الكاثوليك ارجونا لهذه الجزر التي تتوسط الحوض الغربي سمح بظهور قواعد وممرات تجارية جديدة في الحوض الغربي عبر الجزر الايبيرية غيرت من شبكة طرقات التجارة البحرية و قلبت موازين القوى في كل البحر الأبيض المتوسط.

- **الصراع المريني الزياني على استقطاب التجارة المغاربية :**

الموقع الوسطي لأمارة بني عبد الواد والاستراتيجي لمدينة تلمسان، التي كانت بمثابه ملتقى طرق التجارة بين اوروبا و بلاد السودان و غرب افريقيا، و ميناء هنين القريب من المدن الساحلية الايبيرية اصبح له دور فعال في التجارة العالمية في غرب الأبيض المتوسط. حيث جعل من تلمسان الشريك الأول لأوروبا الجنوبية خاصة لمملكة ارجونا و امارة بني عبد الواد.

حيث أصبحت العاصمة الزيانية تلمسان جاذبة لكل أنواع التجارة بحكم موقعها الاستراتيجي بين افريقيا الغربية و دول الساحل ، و صدارتها لتجارة القمح و الرقيق و الملح و الذهب و الزيوت.

اشتداد التنافس بين المرنيين و بنو عبد الواد على استقطاب التجارة الاورومتوسطية على الرغم من انها كانت تحت سيطرة البندقية ثم الجونيين.

في الربع الأول من القرن الثاني عشر انتقلت حروب الاسترداد الى غرب المتوسط بتشجيع من البابا حيث تأسس الاتحاد الصليبي غرب المتوسط ، يتكون من اغلب سلاطين الدول المسيحية و هذا بزعامة سان لوي ملك فرنسا و جاك دي ارجون ملك ارجونا .

في اطار الحروب الصليبية قام جاك دي اراجون
Jacques Ier d'Aragon dit le Conquérant (1208-1276)بمباركة
البابا و مساندة دول الحلف المسيحي تحرير جزر البليار.
تميزت فترة جاك دي ارجون Jacques Ier d'Aragon dit le
Conquérant (1208-1276) بارتباك العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع
دويلات المغرب.

انتشار الحروب البحرية بكل انواعها وسوادها بين اهل الرباط جنوب بحر
الروم و فرق الفرسان المرابطة في جزر و سواحل شمال البحر المتوسط الشيء
الذي اثر سلبا على التجارة و جعلها تعاني بسبب الحروب الدينية.

تأثير الحروب المفلسة على الخزينة العامة دفع بملوك أوروبا و على راسهم ملك
ارجون بإصدار قانون منع الحرب ضد الدولة الزيانية و المرينية التي اعتبرها
الصديقة.

بعد إعادة العلاقات بين الأمير الزياني و جاك دي ارجون، سنة 1265، تم تبادل القناصل بين الامارتين فعين يغمراسن بن زيان كسفير في مدريد، كما تمّ تنصيب فيلاجوث Vilagout ابن جاك الغازي كسفير ووكيل للتجارة المسيحية في تلمسان.

كانت مهام القنصل الاسباني أنداك متعددة، علاوة على المهام الدبلوماسية فيما يتعلق بالحرب و السلم ، كان وكيلا تجاريا agent de commerce مسؤول على الواردات و الصادرات من و الى اسبانيا بالإضافة الى المصالح الاسبانية في تلمسان و هنين و ضمان امن الجالية المسيحية.
سنة 1272 خلف ابن جاك الغازي على راس التجارة و مصالح مملكة ارجون بتلمسان Galleron Guillaume و هو احد كبار تجار جزيرة ميورك.

في عهد Pierre d’Aragon III (1276-1285)(1) تطورت تجارة الرقيق حيث أصبحت له شريكات خاصة كشركة Berango و Marti Jaccin.

بيير Pierre III ارسل سفارة تحت رئاسة برانار بورتر Bernard Porter لإمضاء معاهدة سلام مع الأمير يغمرسن محمد بن عبد الله البرادعي و كيل التجارة الخارجية مع الدول المسيحية.

Pierre leفي أراغون بير إل غران) بيتر الثالث ، المعروف باسم الكبير نوفمبر 11وتوفي في 1240أو 1239ملك أراغون ، ولد في (grand 1285إلى 1276، كان ملك أراغون وكونت ريباغورس من 1285 تحت لقب بيتر الثالث كان ملك أراغون ، كونت برشلونة ، جيرونا ، 1285 . إلى 1276أوسونا ، بيسالو وبالارس جوسّا من

سنة 1285، قام بيير 3 Pierre III بتجديد معاهدة السلم و التجارة مع الأمير الزياني عثمان يغرماسن و جاءت هذه المعاهدة في الوقت الذي تراجعت فيه التجارة مع الامارات الإيطالية و جنوب فرنسا.

لم تكون هذه المعاهدة متوازنة و متعادلة في الحقوق و الواجبات بل كان ملك ارجونا يأخذ نصف مداخيل صادرات و واردات ميناء هنين تلمسان ووهران مقابل السلم.

في نهاية القرن الثالث عشر، اصبحت ارجونا تبسط نفوذها على التجارة بين دول المغرب و أوروبا في الحوض الغربي على وجه التحديد.
كما اصبح لها نفوذ عسكري في الموانئ و المرافئ الزيانية خاصة في تلمسان ووهران و تنس و شرشال ، حيث ارسل ملك ارجونا Alphonse III ابنه جان بيريز Jean Pérez كقائد للحاميات المسيحية الاسبانية المرابطة بتلمسان لضمان امن و سلامة السفن المسيحية و كذلك تامين سلامة الأمير الزياني و حمايته من الثوارات الداخلية .

****

كانت اسبانية تسيطر على موارد التجارة في تلمسان في عهد جاك الغازي و جيوم III و فلم يكان مردودها ذو فعالية كبيرة على الخزينة العامة للدولة الزيانية.

هكذا بدأ الاستعمار الاسباني ينخر جسد دولة بني زياني و يولج مخالبه في بلاد المغرب الأوسط و الأقصى.

التاريخ أعاد نفسه من خلال امضاء الدولة العثمانية معاهدة الامتيازات بين فرنسوا الأول ملك فرنسا و السلطان سليمان القانوني التي سمح على اثر تأسيس مرافيء صيد و تجارة في موانيء الشرق الجزائر و التي سمحت لفرنسا التجسس و استكشاف حصون و رباطات الجزائر.

المراجع :

Gonzalo de Reparaz Ruiz, L'activité maritime et commerciale du royaume d'Aragon au XIIIe siècle et son influence sur le développement de l'école cartographique de Majorque. Le Bulletin hispanique à ses lecteurs. In: *Bulletin Hispanique*, tome 49, n°3-4, 1947. pp. 257-258. www.persee.fr/doc/hispa_0007-4640_1947_num_49_3_3096

Daoudi Belkacem , Les relations commerciales entre le Royaume Abdelwadide et les villes du sud de l'Europe, - XIIIe/ Xve BIBLID, 16, 2009

Richard L. Lawless ,Tlemcen, capitale du Maghreb central. Analyse des fonctions d'une ville islamique médiévale , Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée Année 1975 pp. 49-66

Dominique Valerian , Ports et réseaux d'échanges dans le Maghreb médiéval, Casa de Velàquez, Madrid 2019

-Isabelle Bernier, L'essor du commerce au Moyen Âge, https://www.futura-sciences.com/sciences/questions-reponses/histoire-essor-commerce-moyen-age-13288

P. Boissenade, les relation commerciales de la France méridionale avec l'Afrique du Nord Bulletin de la Société - de Géographie, 1929